

دلالات "البغل" لدى الجاحظ* ت255هـ في كتابه "القول في البغال"

Images of semantic guidance in the book of words in Abu Osman mules Amre ibne Bahr al-Jahiz

أ.د مختار درقاوي

قسم اللغة العربية جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)

تاريخ القبول: 2018-12-30

تاريخ الإرسال: 2018-12-25

الملخص:

يتناول هذا البحث عملاً مهماً للجاحظ له صلة بنظرية الحقول الدلالية في الدرس اللساني الحديث - وهو كتاب القول في البغال، إذ عرّض الباحث لجملة من الوقائع التي سجّلها هذا الكتاب وأبرزَ توجُّهها الدلالي والحضاري وأثرها النفسي على الإنسان العربي، وخلص البحث إلى ذلك العمق العلمي الذي تحلّى به الجاحظ في الطرح والإبانة واستقراء الأحداث واستجلاء الدلالات والعبر، وهذا ما جعله بحق وسبقاً قامه علمية ورجلاً سامقاً شامخاً ومصدراً رئيساً من مصادر اللغة والأدب والفلسفة والنقد، رحمه الله تعالى.

- الكلمات المفتاحية: التوجيه الدلالي - البغال - الجاحظ

Abstract:

This article deals with important work related to semantic field theory - the book to say in al-Jahiz mules, the researcher presented a number of facts recorded by this book and pointed out the semantic direction and its psychological impact on the Arab man, and concluded the research to the scientific depth demonstrated by al-Jahiz in subtraction And the interpretation of events and the clarification of semantics and lessons have made him a major source of language, literature , philosophy and criticism.

Key words: Semantic guidance - mules - Abu Osman Amr ibn Bahr al-Jahiz

- تمهيد:

كلفت علوم اللسان والبلاغة والتفسير والأصول منذ نشأتها باللغة العربية وبنصوصها كلّفاً شديداً يُتلمّس أثره مما كتبه سلفُ الأُمّة؛ كالخليل (ت 175هـ)، وسيبويه (ت 180هـ)، والفراء (ت 207هـ)، والأخفش (ت 215هـ)، والجاحظ (ت 255هـ)، ومحمد بن يزيد الواسطي (ت 306هـ)، وأبي إسحاق الزجاج (ت 311هـ)، وأبي جعفر النحاس (ت 338هـ)، وأبي الحسن الرّمّاني (ت 384هـ)، وأبي سليمان الخطّابي (ت 388هـ)، وأبي بكر الباقلاّني (ت 403هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) وغيرهم كثير.

إذ عمد هؤلاء الأعلام الأجلاء على ما يفرضه موضوع البحث ومجال التخصص وأوجه الدراية وسبل الرواية إلى دراسة اللغة من جوانب مختلفة؛ صوتية وصرفية ونحوية ومعجمية ودلالية وفقهية وبلاغية وأدبية، وكانت لهم في ذلك إسهامات وازنة ورصيدٌ معرفيٌّ جدير بأن يلقى اهتماماً وعناية من الحُلَف، وأن يُكشَف النقاب عن مكامن الإبداع فيه، وإضاءة جوانب الإشراق والجدّة - وهي كثيرة لا محالة.

وقد شدّني من ذلك النتاج المعرفي الأصيل مؤلّفُ الجاحظ "القول في البغال" الذي عَرَضَ فيه كلّ ما له صلة بالبغال، وما وُضِعَ حولها من أشعار، وما جرى في خبرها من قصص وأخلاق، واستطرّد كما هي عادته في ذكر شيء من مسائل اللغة والفقه والأدب والاجتماع والنفس والاصول.

- كتاب القول في البغال:

قد ألّف الجاحظ هذا الكتاب بعد مؤلّفه النفيس "الحيوان" ويبيّن أنّه "كان وجهُ التدبير في جملة "القول في البغال" أن يكون مضموماً إلى جملة القول في الحافر كلّّه، فيصير الجميع مصحفاً واحداً، كسائر مصاحف "كتاب الحيوان"، وقد منعه من ذلك "ما حدّث من الهمّ الشاغل، وعَرَضَ من الزمانة، ومن تخاذل الأعضاء، وفساد الأخلاط، وما خالط اللسان من سوء التبيان، والعجز عن الإفصاح"¹. ويُفهم من هذا القول عدة أمور:

إنّ تأليف هذا الكتاب كان عَقِبَ مؤلّف الحيوان، ثمّ إن القول في البغال حقل دلالي فرعي ضمن حقل دلالي عام وهو "القول في الحافر كلّّه" الذي ضمّنه -أي الجاحظ- كتاب الحيوان، وكأنّ هذا العمل استدراكٌ وتتمّة لمبحث من مباحث الحيوان، وبعد هذا كلّّه، إنّ هذا العمل ألّفه في آخر عمره عندما كان مصاباً بعاقة وتخاذل الأعضاء وفساد الأخلاط، وهذا دأب العالم، مع ما يجلّ به من أقدار وعوارض لا يُجْتمَعُ عن العلم تأليفاً وطلباً ودراسة ومدارسة .

أما البغال فشأنها شأن باقي المركوبات كالخيل والحمير ألّفها العربي واعتادها وأحسن وصفها ومعاشرتها وإيراد قصصها وأخلاقها، وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم: [وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8)]². وتأتي المفاضلة بينها بحسب ترتيبها في الآية؛ فالخيل أولاً ثمّ البغال ثمّ الحمير. وتقرّر هذا المعنى عند العرب، فتجد أبا سفيان عندما شَخَّصَ إلى ولده معاوية بالشام، في ولاية عُمر رضي الله عنه، ومعه ابناءٌ عُتْبَةُ وعَنْبَسَةُ، كتبت هند إلى أخيها معاوية: "قد قَدِمَ عليك أبوك وأخوأك، فلا تعزّم لهم... واحمل أباك على فرس وأعطه ثلاثة آلاف درهم، واحمل عتبة على بغل وأعطه ألفي درهم، واحمل عنبسة على حمار وأعطه ألف درهم"³. وقال محمد بن سلام الجُمحي: قلت ليونس بن حبيب: "البراذين من الخيل؟" فأُنشِدني:

وَإِنِّي أَمْرُؤٌ لِلْخَيْلِ عِنْدِي مَرِيَّةٌ عَلَى فَارِسِ الْبِرْدُونِ* أَوْ فَارِسِ الْبَغْلِ⁴

وقال مسلم بن الوليد:

تَرَكْتُ صِفَاتِ الْخَيْلِ وَالْخَيْلُ مَعْقِلٌ* وَأَصْبَحْتُ فِي وَصْفِ الْبَغَالِ الْكُودَانِ⁵

وقد تختلف المفاضلة باختلاف المقاصد والغرض الذي من أجله وقع اختيار المركوب؛ إذ قال خالد بن صفوان -وهو من مشاهير خطباء العرب وفصحائهم- مخبراً عن المطايا: "الإبلُ للحمل والزَّمل (أي العيال)، والبغال للأسفار والأثقال [والطحن]، والخيل للطلب والحرب، والبراذين (أي دابة الأحمال الثقيلة وتطلق على غير العربي من الخيل والبغال) للجمال والوطء، وأما الحمير فللدبيب والمزق (أي المنفعة)"⁶ وأكثر الحمير والبغال تُتخذ لغير الركوب، وليس في البراذين طحانات ولا نقالات⁷. واشتمل كتاب "القول في البغال" على أربعة عشر باباً أو قل حقلاً دلالياً فرعياً، جاء ترتيبها كالآتي:

(1) باب ذكر ركوب الأشراف البغال.

(2) باب ما جاء من نوادر وأشعار في البغال.

- (3) باب أخلاق البغال.
 - (4) باب ذكر الانتفاع بالبغال في البريد.
 - (5) باب ذكر شأن البغال في الشعر.
 - (6) باب ما قالوا في طول عمر البغل.
 - (7) باب تشبيه الأسد بالبغل.
 - (8) باب ضربهم المثل في أير البغل.
 - (9) باب مدح البغال وذمها.
 - (10) باب ما جاء من الشعر في ذم البغال.
 - (11) باب ما قالوا من شعر في عقم البغل.
 - (12) باب ما جاء في الكوادر (قيل ولد الأتان من الفرس، وقيل المهجين).
 - (13) باب ذكر ركوب نساء الأشراف البغال.
 - (14) باب ذكر أخبار ومسائل شتى.
- وتحسن الإشارة في هذا الموضوع إلى أنّ البغلة التي يضرب بها المثل عند العرب هي بغلة أبي دلامة - وتعدّ النموذج الذي لا يضارعه نموذج في قصص البغال - ، كما هي الحال في الحمير يضربون المثل بحمار العبادي، وفي الغنم بشاة منيع، وفي الكلاب بكلبة حؤمل، قال أبو دلامة يصف بغلته - وهي قصيدة طويلة سنكتفي ببعض الأبيات:

أَبْعَدَ الْحَيْلِ أَرْكَبُهَا وَإِذَا	وَشُقْرًا فِي الرَّعِيلِ إِلَى الْقِتَالِ؟
رُزِقْتُ بُعَيْلَةً فِيهَا وَكَالٌ	وَحَيْرٌ خِصَالُهَا فَرَطُ الْوَكَالِ
رَأَيْتُ عِيوبَهَا كَثُرَتْ وَغَالَتْ	وَلَوْ أَفْنَيْتُ مُجْتَهِدًا مَقَالِي
لِيُخْصِي مَنْطِقِي وَكَلَامُ غَيْرِي	عُشِيرَ خِصَالُهَا شَرَّ الْخِصَالِ
فَأَهْوَنُ عَيْنِيهَا أُنَى إِذَا مَا	نَزَلْتُ وَقُلْتُ: إِمْشِي لَا تُبَالِي
تَقُومُ فَمَا تَرَبُّمٌ إِذَا اسْتَحْشَتْ	وَتَرْحُحْنِي وَتَأْخُذُ فِي قِتَالِي
وَإِنِّي إِنْ رَكِبْتُ آذَيْتُ نَفْسِي	بِضَرْبٍ بِالْأَيْمَنِ وَبِالشَّمَالِ
وَبِالرَّجْلَيْنِ أَرْكُضُهَا جَمِيعًا	فِيَا لَكَ فِي الشَّقَاءِ وَفِي الْكَالِ ⁸

- علاقة كتاب "القول في البغال" بنظرية الحقول الدلالية:

إنّ هذا المصنّف "القول في البغال" له صلة بنظرية لسانية حديثة وُضعت لتفيد في التحليل الدلالي الوصفي؛ وهي نظرية الحقل الدلالي أو المجال الدلالي، تقول هذه النظرية بأن المدخل اللساني (اللفظ) يتحدد دلالته ببحثه مع أقرب المداخل اللسانية إليه في إطار مجموعة دلالية واحدة، وهذا يعني أنّ الحقل الدلالي يتسم بالخصوصية التصنيفية.

حيث يراعى فيه وضع المداخل في أنساق بُنوية وفق علائق دلالية مشتركة؛ أي إدماج الوحدات المعجمية المشتركة في مكُوناتها الدلالية في حقل دلالي واحد، مثا

ل ذلك الكلمات الدالة على عيوب البغال في اللغة العربية تقع تحت الاصطلاح العام "عيوب البغال أو ذمّ البغال" - والبغال يضرب بها المثل في كثرة العيوب وتلَوْن الأخلاق -.

وتضم: عظيم الغُرمول، كبير الرأس، عقيم الصلب، قبيح الصوت، بطيء الحُضُر، مِهْيَاف إلى الماء، متلَوْن الأخلاق، كثير العلل، فاجر البائع، صرّاع لراكبه وقتال له، شديدة العداوة لرائضه، خرون عند الحاجة، والحِران إليه أسرع، ودواؤه أعمس، إن كان أغرّ (له غرّة أي بياض على جبهته) كان سَمْحاً (قبيحاً)، وإن كان مُحَجَّلاً (في قوائمه بياض) كان مشوماً⁹.

وقد حدّد جورج مونان (G.Mounin) الحقل الدلالي بأنه «مجموعة من الوحدات اللفظية التي تشكّل مجموعة من التصورات المنتمية إلى مفاهيم دلالية تحدّد الحقل»¹⁰. ويتكوّن الحقل الدلالي عن طريق رصد المفردات والتصورات المنتمية إلى مفاهيم دلالية أو قطاع متكامل، وهذه القائمة التي جُمعت تشير في النهاية إلى وحدات ترتبط فيما بينها بمفهوم عام وشامل، يقوم بدوره بتحديد المساحة المفهومية لكل وحدة.

وهذا يُحيل على أنّ الحقل الدلالي يعوّل في أدائه التصنيفي على فكرة التضمين أو الاحتواء Inclusion بحيث يراعى المفهوم العام الموحد للمداخل، فالحديد والنحاس والذهب يجمعهم مفهوم عام وشامل يسمح الفضاء الإدراكي بلفظ جامع هو المعدن، وبهذا تبين أنه لكي تفهم معنى الكلمة يجب أن تفهم كذلك مجموعة الكلمات المتصلة بها دلالياً؛ أي إنّ موقع الكلمة بين أخواتها في الحقل يعني درجة من تحرير معناها، وهذا الإطار النظري أرشدنا إلى أنّ نظرية الحقل الدلالي نشأت -أساساً- في ظل مبدأ القيمة الذي اقترحه ونادى به دي سوسير.

فقد أوضح أنّ الفرس على طاولة الشطرنج هو فرس ليس بسبب أية صفة وراثية مثل: الشكل والحجم، ولكن بسبب ما يمكن أن يفعله بالنظر إلى القطع الأخرى الموجودة على الطاولة¹¹. لقد ركّز على الجانب العلائقي أو الارتباطي Relationnel للغة مؤكداً على أنّ ثمة فروقا فقط لا حدودا ثابتة، وهنا غدت قيمة الكلمة عنصرا واحدا من عناصر المعنى وتزداد فاعلية هذه القيمة عندما تتصل الكلمة بغيرها من الكلمات (الدلالة السياقية).

وطريقة هذه النظرية في التحليل تتلخص نقاطها في الآتي:¹²

1- إن مجموعة ألفاظ اللغة المعينة مبنية على مجموعة متسلسلة لمجموعة كلمات (أو حقول دلالية)، وكلّ منها يغطي مجالا محددًا لحقل المفاهيم (حقول التصورات).

2- كل حقل من هذه الحقول سواء أكان معجميا أم تصوريا يتكون من وحدات متقاربة الدلالة، مثل تجاور حجارات الفسيفساء.

3- إنّ معاني الكلمات تحدد من خلال عددها وموقعها في الحقل الكلي، فلا يستطيع المستمع أن يحدد معنى الكلمة، إذا لم يعرف بقية كلمات الحقل، ومدى العلاقات الدلالية التي تربط بينها.

ولنظرية الحقول الدلالية أسس توظف وأنواع تتفرع عنها، كما لها وظائف إجرائية معجمية متعددة، يضاف إلى ذلك تجليها في التراث العربي بمصطلح مغاير هو معاجم الموضوعات أو المعاني، وهي صالحة لتطبيق على معاجم الألفاظ وغيرها.

أ- الأسس: لقد حدد علماء هذه النظرية مجموعة من الأسس، ينبغي أن تراعى في إطار هذه النظرية، وهي:¹³

- لا وحدة معجمية Lexème عضو في أكثر من حقل.
- لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين.
- لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.
- استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي.

يضاف إلى ذلك أنّ اختيار الحقل في الوسط اللساني يحتكم إلى:¹⁴

1- الحدس: على الباحث أن ينطلق من مدوّنة منتقاة، وهذا بالضبط ما فعله اللساني الفرنسي جورج موان حين عكف على حصر ورصد الوحدات الأساسية التي تكوّن بنية الحقل الدلالي للحيوانات الأليفة، فقد اعتمد على تسجيل كل المصادفات التي لها علاقة بالحقل من خلال معاشته للوسط اللساني.

2- مقاييس موضوعية: إن محاولة الاهتمام إلى عمل تطبيقي هادف للحقل الدلالي لا بد أن لا يحتكم فيها الباحث إلى الحدس فقط، وإنما لا بد من أن تكون هناك مقاييس تسهم في حصر الأنساق العلائقية، وتكفل بضبطها، وطبيعة هذه المقاييس قد تكون لسانية وقد تكون فوق لسانية.

والمقاييس الأخيرة هي مقاييس خارجة عن بنية النظام اللساني ذاته، ومع ذلك لا تخرج عن كونها مقاييس موضوعية، فحقل القرابة مثلاً يتحدد بواسطة مقياسين غير لسانيين لكنهما موضوعيان، وهما القرابة بالمصاهرة والقرابة بالدم، وهذا فرض على العديد من اللسانيين ضرورة التفرقة بين البنية اللسانية والبنية الاجتماعية والثقافية.

أمّا المقاييس اللسانية فهي مستنبطة من النظام اللساني نفسه، فما يقدمه المعجم والتفريع المورفولوجي والتفريع الاشتقاقي من تفسيرات ما هي إلاّ آليات لبناء الحقل الدلالي، وقد ذهب وأكّد حسام البهنساوي إلى أنّ ثمة ضوابط عامة تحكم بناء الحقل تتجلى في ثلاث سمات:¹⁵

1- السمات الدلالية: حيث يقوم كل حقل على مجموعة من العناصر التصويرية أو السمات الضرورية، التي تشارك فيها وحدات الحقل، هذه العناصر التصويرية لقيام الحقل هي التي تدل عليها سمات الحقول الدلالية.

2- السمات المركزية: هي سمات تتصف بالتدرج، كما هي الحال في تدرج فروق الألوان، وفي تدرج علاقة الطول والعرض.

3- السمات النمطية: وهي سمات تخضع للاستثناء بصورة منفصلة وطبيعتها غير متدرجة، فسمّة أربعة أرجل في معنى كرسي يمكن أن تستثنى في حالة الكرسي ذي ثلاثة أرجل.

ب- الأنواع:

يقسم اللسانيون المحدثون الحقل الدلالي إلى أنواع، هي: ¹⁶

- الكلمات المترادفة، والكلمات المتضادة على أساس أنّ الكلمة تفسر بضدها فاللون الأسود يستدعي الأبيض، ويعد جولز A.Jolles أول لساني يذهب إلى أن الألفاظ المترادفة والتضاد من الحقول الدلالية.
- الأوزان الاشتقاقية وتسمى أيضا الحقول الدلالية الصرفية، دورها يكمن في تصنيف الوحدات في المجال الصرفي بناء على القرابة الكائنة بينها، ويمكن تمثل هذا النوع أكثر في اللغة العربية، فالعلامة الصرفية مَفْعَل في مفهومها العام تدل على الآلات المستعملة المتداولة نحو: مِبْرَد، مَنجَل، مَقْوَد، مَحِيْط.
- أجزاء الكلام وتصنيفاته النحوية.
- الحقول السنجمائية أو التركيبية تشمل مجموعة الكلمات التي ترتبط فيما بينها بواسطة الاستعمال، مع عدم وقوعها في الموقع النحوي نفسه، وقد كان بورزج W.Porzic أول من عنى بدراسة هذه الحقول، إذ اهتم بالكلمات الآتية:

دَكْرٌ	الإنسان
جُرْدَان	الحمار
عُرْمُول	البغل
نَضِيّ	الفرس
مَقْلَم	البعير
قَضِيب	التيس
قَضِيب	الثور
عُقْدَة	الكلب

تصنيف الجاحظ في كتابه القول في البغال ص 90

- الحقول المتدرجة الدلالة، يراد بها وجود تدرّج في البناء اللفظي، فقد ترد الكلمات من الأعلى إلى الأسفل، أو العكس، أو تربط بين بناها قرابة دلالية، فالملفوظ إنسان هو مفهوم عام يتضمن مفاهيم صغرى (الرأس، الصدر، البطن، اليد، الرجل) هذه المفاهيم الصغرى بدورها تتجزأ إلى مفاهيم أكثر دنواً، فاليد تحوي (الإبهام، السبابة، الخنصر، البنصر، الوسطى، الأظافر...).

وقد تنبّه جماعة من اللغويين في التراث العربي إلى أهمية الحقول الدلالية، وأقصد بذلك الجماعة الذين صنّفوا الرسائل اللغوية والكتب ذات الموضوع الواحد ومعجمات المعاني أو الموضوعات، وهي المؤلفات التي تمتد جذورها في

التراث إلى بداية القرن الثاني الهجري، واكتملت مع بداية القرن الثالث وما بعده، كمعجم "الغريب المصنف" للأبي عبيد القاسم بن سلام (224هـ)، والحيوان والقول في البغال للجاحظ (255هـ) و"المخصص" لابن سيده الأندلسي (457هـ)، وغيرها كثير.

- التوجيه الدلالي:

للمتكلم في التعبير عن المعنى وإيصاله إلى السامع طرق كثيرة ووسائل متنوعة، لكنه يفضل أن يسلك طريقا بعينه دون آخر "المقصد معيّن يقصد إليه"¹⁷، فغدا هذا الطريق مؤشرا يحمل في ذاته دلالة ضمنية مقصودة، ومهمة الباحث اللساني هي الكشف عن تلك الدلالة، بتوجيه المعنى وبيان المراد. وعلى هذا يراد بالتوجيه الدلالي في هذا السياق المعرفي تفسير المدلول وبيان سبب العدول وضبط التأويل وتحلية الصورة.

وإن كانت الصورة الحاصلة - في ذهن في نظر أصحاب المعجمات - "من حيث إنها تقصد باللفظ تسمى معنى، ومن حيث حصولها من اللفظ في العقل تسمى مفهوما، ومن حيث إنها مقولة في جواب ما هو؟ تسمى ماهية، ومن حيث ثبوتها في الخارج تسمى حقيقة، ومن حيث امتيازها عن الأعيان تسمى هوية"¹⁸.

- التوجيه الدلالي للرؤى:

يرى بيرس أنه يجب النظر إلى العلامة باعتبارها وحدة ثلاثية المبنى غير قابلة للاختزال في عنصرين كما فعل دي سوسير. إنَّ العلامة تتألف من المصورة التي تتفرّع إلى التصوّر rheme والتصديق dicent والحجة Argument، والمفسرة interprètent بدورها تتفرّع إلى العلامة النوعية signe - quali، والعلامة المفردة sin - signe والعلامة العرفية signe - legi، والموضوع objet هو الآخر يتفرّع إلى الأيقون icon، والمؤشّر index، والرمز symbol.¹⁹

استنادا إلى هذه المفاهيم توصّل بيرس إلى سنّ قانون عام للكيفية التي تتألف منها العلامة، من خلال بنائها واشتغالها، وهو القانون الذي يعنى بالتأويل انطلاقا من حافظ أولي إلى جميع الاستنتاجات التأويلية الأبعد شأوا، ننطلق من العلامة لاكتشاف التفسير الدلالي وبناء تأويل يُستاغ.

أشار أمبرتو إيكو أثناء عرضه لتصوّر بيرس إلى القط، هذا الحيوان من حيث إنّه الصَّيَّوْنُ أو السَّنور؛ أي باعتباره علامة في ذاته هي علامة نوعية، والآثار التي يخلفها هذا الحيوان على الأرض أو على صاحبه من شَعْر و غيره، هي علامات مفردة²⁰.

و تحيينها دليل على نوعيتها، و القط أيضا هو ذلك الحيوان الذي كان يعبد المصريون القدامى، وهو الحيوان الذي يعتبر أكله طبقا شهيا في باريس أثناء الحصار البروسي، وهو الحيوان الذي تغنّى به بودلير²¹ Baudelaire إلى غير ذلك، و هي كلّها علامات عرفية تخضع لقانون و عرف واصطلاح.

تجد هذا البناء الهرمي في تفسير العلامات باديا للعيان فيما عرضه الجاحظ أثناء بسطه للكلام عن حقيقة البغلة في المنام، إذ قدّم تأويلا قائما على مبدأ السياق وباعتماد دلالة الحاضر على الغائب، والحاضر هنا هو الواقع الذي نعيشه، أمّا الغائب فهو ما تبدّى في المنام. نقل الجاحظ أنّ أحد المصريين سأل الفراء المعبر.

فقال: "رأيتُ كأنَّ معي درهماً بَغْلِيًّا"، قال: لستُ تُمسي حتى تأْكُل شيئاً طَيِّباً، فكان كذلك. ثمَّ أتاه بعد أيام، فقال: "رأيتُ فيما يرى النائم كأنَّ معي درهماً بَحِيًّا"، قال لستُ تُمسي حتى تُضْرَب ضرباً وجيعاً، فكان كذلك فسأله عن العلة، فقال: الدرهم البغليّ مكتوب عليه بالفارسيّة: "نُشْنُ خُرْ" ترجمة هذه الكلمة: "كُلُّ طَيِّباً"، والدرهم البخّيّ مكتوب عليه: "ضُرَبَ هذا الدرهم"، وهما مختلفان²². فجرى تأويل الغائب على ما دلَّ عليه الحاضر.

وفي السياق ذاته، قال الأصمعيّ: أرسل الحجاج إلى الجرميّ المعبر، يسأله عن رجل رأى كأنّه على بغلة، وكأنّه على شَرَف (المكان العالي)، وكأنّه يستفُّ ثُراباً، فقال له: "أما البغل فطول عُمُرٍ، وأما الشرف فَشَرَفٌ من شَرَفِ الدنيا، وأما الثُراب ففيء تأْكَله"²³. وهكذا غدا تفسير العلامة رهين ما يمليه السياق الاجتماعي واللغوي وما يفرضه الإضمار الخطابيّ أو القصد التداولي.

– التوجيه الدلالي بوسطية الرؤية:

إنَّ نفس العربيّ تميل إلى الخيل ؛ لأنّها معقود في نواصيها الخَيْر²⁴، فلا تَعْدِل عنها إلى ما دونها إلا الحاجة كما هي الحال مع البغال، إذ جرت عادة العربيّ أن يستعين بها فيما بَعُدت شَقَّتُهُ وَعَسُرَ أمرُهُ كحَمْل الأثقال وطحن الحبوب، أما ما كان داخلاً في بابي الطلب والهرب فللخيل شأنها وإليها المصير، هذه هي الصورة التي أَلْفَهَا العربيّ وأبانها الجاحظ ورسمها في مُصَحِّفِهِ.

ومع ذلك تجد في ميراث الحضارة مَنْ له توجيهٌ أو توجُّهُ وَسَطٌ في أمر البغال، جَزَمَ به عبد الرحمن بن عيَّاش بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب –وقد كان رَكاباً للبغال شَغُوفاً بها حَسَنَ القيام عليها– لما سأله الخطيبُ العربيّ صفوان بن عبد الله بن الأَهمَم "ما لك وهذا المركب الذي لا تُدْرِكُ عليه الثَّار، ولا يُنْجِيكَ يومَ الفِراق؟" قال مجيباً: "إنّها نزلت عن خِيَلاء* الخيل، وارتفعت عن ذِلَّة العَيْرِ، وخيرُ الأمور أوساطها". قال صفوان: "إنّا نُعلِّمكم، فإذا عَلِمْتُمْ تعلَّمنا منكم !"²⁵. وتأكّد هذا المعنى مع المحدث البصري المعروف بزهد بكر بن عبد الله المزنيّ إذ قال له رجل: "رأيتك على فرس كريم، ثمَّ رأيتك على عَيْرٍ لئيم ثمَّ رأيتك أَدَمَنْتَ ركوب هذه البغلة ! قال: البغال أعدل وسيورها أقصد"²⁶.

– التوجيه الدلالي لأخلاق البغل:

الصورة التي عهدنا من خَبَرِ أمرِ هذا النوع من المطايا أنّ البغل كثير التلؤن، به يُضْرَب المثل، ويجلّي الجاحظ الصورة أكثر بإضافة فعل القتل إلى كثرة التلؤن إذ قال: "وهو مع هذا قَتْلٌ لصاحبه"²⁷، وظّف صيغة قتال التي تدلّ على أنّ البغل يُكثَر من هذا الفعل؛ بل هو ديدنه لا يكاد يفارقه وينفك عنه*، وهو له خُلُقٌ، وذَمَّ رجلٌ البغل، فقال: "لا لَحْم ولا لبن، ولا أدب ولا لَقْن، ولا فَوْت ولا طَلَب، إن كان فَحْلاً قتل صاحبه، وإن كانت أنثى لم تنسل". ونصّ عثمان بن الحكم وهو سيّد ثقيف في عصره: "إن كُنْتَ تَرَكِبُهُ (أي البغل) على أنّه عَدُوٌّ فاركيه، وإلا فدعهُ"، قال ابن حزم الباهليّ:

ما لي رأيْتُكَ لا تَدُو مُم على المودّة للرجال

مُتَبَرِّماً أبداً بِمَنْ آخَيْتَ وَدُّكَ في سَقالٍ

خُلُقٌ جَدِيدٌ كُلُّ يَوْمٍ مِثْلُ أخلاقِ البغال²⁸

وقال آخر:

ومتى سَبَرْتُ أبا العلاء وجدته مُتَلَوِّناً كَتَلُونِ الْبَغْلَ

وقال عثمان بن الحكم: "كان عندنا في الحيّ فئى ولدته امرأة مذكرة لرجل مؤنث؛ فما رأيت ولا سمعتُ بخلق ردي من أخلاق البلغال، إلّا وقد رأيته فيه"²⁹. وهب زيد الضبيّ رجلا بغلا وكاد أن يقتله، فقال الرجل:

أقول للبلغل لما كاد يفتلني لا بارك الله في زيد وما وهبا

أعطاني الخنّف لما جئت سائله وأمسك الفضة البيضاء والذهباً³⁰

– التوجيه الدلالي للدعاء:

عُرف عن العرب القدماء الفطنة وسرعة البديهة والذكاء، لذلك تجدهم يتتبعون دقائق المعاني ويتلمسون حقائق الأفعال ويحسنون فهم مآلات الأمور، كما يحرصون على تأديب الولد والرعية، كتب سليمان بن هشام إلى أبيه: "إنّ بغلي قد عجزت، فإن رأيت أن تأمر لي بدابة فافعل"، فكتب إليه: "قد فهمت كتابك، وما ذكرت من ضعف بغلتك، وما ذاك إلّا لِقَلَّةِ تعهّدك، فتفقدتها، وأحسن القيام عليها، ويرى أمير المؤمنين في ذلك رأيه"³¹. ومن النوادر: ادعى رجل على الهيثم بن مظهر الفأفاء أنّه سرق بغلاً؛ فقال له الوالي: "ما يقول؟" قال: "ما أعرف مما يقول شيئاً!" قال: أصلحك الله إنّه سكران فاستنكهه" قال: لأيّ شيء يستنكهني؟ أكلتُ البغل؟"³².

– التوجيه الدلالي للفظه المحتملة:

تقرر لدى علماء اللسان والأصول أنّ الاحتمال في الكلام واردٌ، وأنّ الخلل بسببه حاصلٌ، ما جعلهم يدرسون المسألة ويفحصونها ويمحصونها، فخلصوا إلى أنّ الخلل الحاصل في فهم مراد المتكلم سببه خمسة احتمالات في اللفظ:³³ احتمال الاشتراك، واحتمال النقل بالعرف أو الشرع، واحتمال المجاز، واحتمال الإضمار، واحتمال التخصيص.

ذكر الجاحظ في باب الاشتراك قصة حمدان أبي سهل اللحياني، قالوا له: علمت أن يردّون صاحب الحبس نفق؟" قال: ؟ وأهفأه؟ كنت أرجو أن يكسد فيخسر! فإذا هو قد باع وريح". فظنّ أنّ قوله: "قد نفق" من نفاق السلعة"³⁴ وهو من نفق بمعنى هلك. وقد أكّد راث كيمبسون أنّ من واجب علم الدلالة أن يبحث مسألة الاحتمال في المعنى³⁵. ومنه في حقل البغال لفظه "عَدَسٌ" تحتل أهما اسم لكل بغلة، وتحتل القول الذي تُخاطب به، مثل قولهم: "سأسأ" للحمار، و "حا" للحمّل، و "حلّ" للناقة"³⁶.

– التوجيه الدلالي للسخرية:

تأتي السخرية عفوية تارة ومقصودة تارة أخرى، وتدلّ على سعة المستوى الثقافي للساحر الذي يعتمد وسائط متعدّدة في البيان موازنا بين العناصر اللسانية والوجدانية لتحقيق ذلك الأثر المرغوب³⁷. من المارة والأسى أو التهكم أو الفكاهة أو النكتة أو الهجاء أو الهزل أو غير ذلك. إنّ سخر" الجاحظ" متصل بطبيعته المرحّة، و فنه، و بموقفه من الحياة و هو موقف التوجيه و النقد، فلم تقم سخريته على عاطفة شخصية، و لم تقم على الهجاء أو الشتم³⁸.

فعاش الجاحظ في مجتمعه بعين الخبير الناقد فكان يعالج المشكلات بالضحك و السخرية و خاصة في مواجهة خصومه³⁹. فسخر من كل تصرّف أو قول غريب يخالف قواعد مجتمعه طمعا في رد صاحبه إلى نصابه، أو رغبة في

التسلية و المرح، فيلاحظ أن تيار السخرية يسري في كل كتاباته التي تتناول شتى الموضوعات، و التي كانت تمتلئ بالأدلة و البراهين و خاصة الدينية كتفسير آية، و شرح حديث⁴⁰. ومثال السخرية في كتاب "القول في البغال" ذكر الجاحظ أنهم قدّموا إلى سليمان بن عبد الملك جدياً سمينا، فقال لأبي السريال -وكان من مجانين الأعراب-: "كُلْ من شحم كُليته فإنه يزيد في الدماغ"، قال: "لو كان الأكل من كُلي الجدي يزيد في الدماغ، كان رأس الأمير أعظم من رأس البغل!" وإنما قال الأمير؛ لأنّ سليمان كان يومئذٍ وليّ عهد⁴¹.

كما أورد الجاحظ قول أبي الحسن -لعله المدائني- ونصّه: نظر جحا إلى رجل بين يديه يسير على بغلة، فقال للرجل: "الطريف يا حمصي!" فقال الرجل: "ما يُدريك أيّ حمصي؟" قال: "رأيتُ حِرَ (وجه) بغلتك، فإذا هو يشبه الحاء، ورأيتُ فقْحَتَهَا (المؤخرة) فرأيتها تشبه الميم، ورأيتُ ذَنبَهَا فإذا هو يُشبه الصاد، فقلتُ: إنَّكَ حمصي!"⁴². ومن السخرية التي فيها تهكم وتنبؤ عن واقع الحال قول الشاعر لعله الأحوص:

وَعَجِبْتُ أَنْ رَكِبَ ابْنُ حَزْمٍ بَغْلَةً وَرَكُوبُهُ فَوْقَ الْمَنَابِرِ أَعْجَبُ

ويوظفُ البغلُ في النصوص الأدبية لدلالات مختلفة؛ منها إدخال السرور. والشواهد على ذلك كثيرة نكتفي في هذا الموضع بشاهدين، الأول: لما وفدت عائشة بنت طلحة على عبد الملك بن مروان وأرادت الحجَّ حَمَلَهَا وأَحْشَامَهَا على ستين بغلا من بغال الملوك، فقال عُزْرَةُ بن الزبير:

يا عيش يا ذاتِ الْبِغَالِ السَّتِينَ أَكُلَّ عامٍ هكــــــذا تُحْجِينَ

والثاني: كان مروان أبو السَّمط يركب بغلة له بالبصرة، لا يكاد يفارقها، فقال الجَمَّاز:

اجتمع النَّاسُ وصاحوا الحريقَ ببابِ عُثْمَانَ وسوقِ الرِّقِيقِ

فجاءَ مَرْوَانُ على بَغْلَةٍ فأنشدَ الشَّعْرَ فأطفأَ الحريقَ

وإن كان في البيتين ما يُدخل السرور إلا أنهما نُظما وقُصدا بهما المهجاء، كون الجَمَّاز رمى شعرَ مروان أبي السَّمط بالبرد.

— دلالة فُعْلة وفُعْلة:

لا يؤثر في الدلالة الصوتية فونيم الحرف فحسب، وإنما يؤثر فيها أيضا فونيم الحركة، ومثال ذلك: "الذَّل -بكسر الذال- في الدّابة ضد الصعوبة، والذَّل -بضم الذال- للإنسان وهو ضد العزّ، وكأَنَّهُم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان والكسرة للدابة؛ لأنّ ما يلحق الإنسان أكبر قدرا مما يلحق الدّابة، واختاروا الضمة لقوتها للإنسان والكسرة لضعفها للدابة"⁴³. ومنه أيضا قول العرب: "جَمَامُ المَكْوكِ دقيقا، وجَمَامُ القَدَحِ ماء؛ وذلك لأنّ الماء لا يصلح أن يعلو على رأس القدح كما يعلو الدقيق ونحوه على رأس المَكْوك، فجعلوا الضمة لقوتها فيما يكثر حجمه، والكسرة لضعفها فيما يقلّ بل يُعَدُّ ارتفاعه"⁴⁴.

وأورد الجاحظ قول معاوية: "كُلَّ خصال الشباب قد كان فيّ، إلّا أيّ لم أكن مُلَحّة، ولا صُرْعَة، ولا طُلْعَة، ولا ضَحْكَة، ولم أك سِبًّا"⁴⁵ أتى بها على وزن "فُعْلة" -بفتح العين- ولم يأت بها على وزن فُعْلة -بسكونها- وبينهما فرق

دقيق، نقول: رجلٌ لُعنةٌ" إذا كان يلعنه الناس، أما إذا لعنَ الرجلُ الناسَ فنقول: لُعنةٌ؛ أي يُكثر من لعن الناس، ومعنى صُرعةٌ من يصرع الناس كثيرا، وطُلعةٌ كثير التطلع (أي الميل إلى هواه).

- دلالة سياق الحال:

يقصد بسياق الحال الظروف والملابسات الاجتماعية التي تصاحب الكلام أو تُعين على فهم واقعة حدثت في زمن مضى، هذه الظروف والملابسات أجملت في النقاط الآتية:⁴⁶

- شخصية المتكلم والسماع وتكوينهما الثقافي، وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسماع - إن وجدوا- وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي، ودورهم أيقنصر على الشهود أم يشاركون من آن لآن بالكلام والنصوص الكلامية التي تصدر عنهم.

- العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة، والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي، كحالة الجو إن كان لها دخل، وكالوضع السياسي، وكمكان الكلام، وكل ما يطرأ أثناء الكلام ممن يشهد الموقف الكلامي من انفعال، أو أي ضرب من ضروب الاستجابة، وكل ما يتعلّق بالموقف الكلامي أيّا كانت درجة تعلّقه، وهذا كلّه يسمّى بالحدث غير الكلامي الذي يصاحب الحدث الكلامي.

- أثر النص الكلامي في المشتركين، كالاقتناع، أو الألم، أو الإغراء، أو الضحك...

وفي مشاهدة جمهرة أهل اللغة لوجوه العرب فيما تتناقله مزيد تأكيد ورفع لبس ما لسياق الحال من أهمية، "فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو وابن أبي إسحاق، ويونس، وعيسى بن عمر، والخليل، وسيبويه، وأبو الحسن، وأبو زيد وخلف الأحمر، والأصمعي، ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها وتقصد له من أغراضها ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤدّيه الحكايات ولا تضبطه الروايات"⁴⁷.

من هنا لا نعجب عندما يورد النحاة في ثنايا حديثهم عن "الكلام" سياق الحال، قال ابن هشام: "الكلام ما تحصل به الفائدة، سواء أكان لفظاً، أو إشارة، أو ما نطق به لسان الحال"⁴⁸. ويمدّدنا التعريف بأربعة أطراف، طرفان موجودان في المحيط الخارجي الذي يكتنف موقف الخطاب، وهما الإشارة ووقائع الحال المحسّنة التي يقع فيها الخطاب، وطرفان موجودان في المحيط الداخلي للخطاب، وهما اللفظ والتركيب.

وعند تصقّح مؤلّف الجاحظ "القول في البغال" تجده يُفسّر سياق الحال بذكر مثال هو في هذا الموضع أحسن ما يكون منه في غيره، قال: ونحن بالبصرة إذا رأينا الرجل يطلب الرأي، ويركب بغلا، ويُردف خلفه غلاما، قضينا بأنّه يطمع في القضاء"، وأكد هذا المعنى الشاعر الخضرميّ ابن الممرّق بقوله:

إذا ركب الشّيخُ الشّريفُ بُعَيْلَةً وناظرَ أهلَ الرّأي عند هلال

فذاك الذي يَبْغِي القضاءَ بِسَمْتِهِ

- خاتمة:

- يُعدّ كتاب "القول في البغال" للجاحظ مصدرا مهما في موضوعه، باشماله على أربعة عشر بابا أغنت المكتبة العربية وأبانت عن وعي العقل العربي ورقيّه وحرصه وبُنيته الإبداعية في التعامل مع المعرفة، فهو عقل رصين أمعن النظر في واقعه وفصل الحديث في مُقوّماته واستنبت لنا هذا الغرس المعرفي، الذي يُعدّ مصدر اعتزاز وافتخار.
- يُعدّ الكتاب أيضا استدراكا على مؤلّف الحيوان، والوجه فيه كما أفصح عن ذلك صاحبه أن يكون مضموما إلى مبحث القول في الحافر الذي يُعدّ من مباحث كتاب الحيوان.
- يتقاطع مضمون الكتاب مع نظرية لسانية حديثة تُدعى نظرية الحقول الدلالية؛ وذلك من حيث الاتفاق على استيعاب الرصيد المعرفي، وإبراز المشترك الدلالي للبنى اللغوية وغير اللغوية. وهذه ميزة حسنة في الإنسان الذي أوتي حكمة وعِلما؛ كونه يميل نحو التصنيف وضمّ المتشابهات وجمع ما له صلة بالباب العلمي الواحد أو الحقل الواحد.
- اشتمل عمل الجاحظ على توجيهات دلالية اتخذت أشكالا مختلفة، لغوية، وأدبية، وفقهية، وفلسفية، استقرّيناها ثمّ وسمنّاها وفق مخرجات علم الدلالة الحديث، كسياق الحال، والفروق الدلالية، واللفظ المحتمل، وغير ذلك. كما أبانت السخرية عن خفة روح الجاحظ وطبيعته المرحّة، و فنه، كما كان الهدف منها هو نقد نمط الحياة وتوجيه السلوك وتقويم الواقع.
- تأكّد في مبحث أخلاق البغال عناية العربي بالتحليل النفسي للذات البشرية أو ما يُشار إليها الحياة من الموجودات الحية، فتجد تفسيرات معرفية وسلوكية قائمة على ثنائية "الحافز أو المثير" و"الاستجابة" أو "ردود الفعل". مما أضحى يُشكّل في الثقافة اللسانية الحديث مرتكزا فاعلا وأداة مهمة في التحليل النفسي لدى التجريبيين.

* الجاحظ الكناني هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري (159هـ-255هـ) أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي، ولد في البصرة وتوفي فيها. مختلف في أصله، فمنهم من قال بأنه عربي من قبيلة كنانة ومنهم من قال بأن أصله يعود للزنج وأن جده كان مولى لرجل من بني كنانة وكان ذلك بسبب بشرته السمراء الغامقة. وفي رسالة الجاحظ اشتهر عنه قوله أنه عربي وليس زنجي حيث قال: أنا رجل من بني كنانة، وللخلافه قرابة، ولي فيها شفعة، وهم بعد جنس وعصبة. كان ثمة نتوء واضح في صدقته فلقب بالحدقي، ولكن اللقب الذي التصق به أكثر وبه طارت شهرته في الآفاق هو الجاحظ، عمّر الجاحظ نحو تسعين عاماً وترك كتباً كثيرة يصعب حصرها، وإن كان البيان والتبيين وكتاب الحيوان والبغلاء أشهر هذه الكتب، كتّب في علم الكلام والأدب والسياسية والتاريخ والأخلاق والنبات والحيوان والصناعة وغيرها. وأصول هذا الفن وأركانها أربعة كتب هي: أدب الكاتب لابن قتيبة، كتاب الكامل للمبرد، كتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب الأمالي لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها. ينظر: الموسوعة الحرة على الشابكة <https://ar.wikipedia.org/wiki/الجاحظ>.

1 الجاحظ، القول في البغال، حقّ: شارل بلّا، دار الجيل، بيروت، ط1، عام 1995، ص9.

2 سورة النحل، الآية: 08.

3 الجاحظ، القول في البغال، ص115.

* أي دابة الأحمال الثقيلة وتطلق على غير العربي من الخيل والبغال

4 المصدر نفسه، ص139.

5 المصدر نفسه، ص76.

6 المصدر نفسه، ص15.

- 7 المصدر نفسه، ص 139.
- 8 الجاحظ، القول في البغال، ص 101. والوكال: الكسل.
- 9 ينظر: الجاحظ، القول في البغال، ص 95-107.
- 10-G. Mounin ; Clefs pour la sémantique. Paris. 1972 .p56.
- 11 ينظر: فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر: عبد القادر قنيني، ص 142-150، وينظر أيضا بالمر، علم الدلالة إطار جديد، تر: صبري إبراهيم، ص 111.
- 12 ينظر: أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، منشورات اتحاد كتاب العرب، 2002، دمشق، ص 45-46.
- 13 ينظر: حسام الهندساوي، التوليد الدلالي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص 16.
- 14 ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 1، الجزائر. ص 165-166.
- 15 ينظر: حسام الهندساوي، التوليد الدلالي، ص 17-18.
- 16 ينظر: أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ص 16-17. وينظر: أحمد عمر مختار، علم الدلالة، ط 1998، عالم الكتب، القاهرة، ص 80.
- 17 تمام حسان، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1993، ص 489.
- 18 محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، وزارة الإعلام، الكويت، 497/2 - 498. وينظر أيضا: التعريفات، شريف الجرجاني، الدار التونسية، 1971، ص 116.
- 19 عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب -دراسة مقارنة مع السيميائية الحديثة، ص 15.
- Charles Senders Peirce, Ecrits sur le signe, Ed Seuil, 1978, P32.
- ينظر سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن 2003، الدار البيضاء، ص 65.
- 20 ينظر أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصمعي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، سنة 2005 بيروت، ص 187.
- 21 ينظر المصدر السابق، ص 188.
- 22 الجاحظ، القول في البغال، ص 63.
- 23 الجاحظ، القول في البغال، ص 62.
- 24 روى البخاري (2852)، ومسلم (1873) عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الْجَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ). وروى البخاري (2371)، ومسلم (987) - واللفظ له - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: فَبِئْرِ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَلِرَجُلٍ وَزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ: فَالرَّجُلُ يَتَّخِذُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيُعِدُّهَا لَهُ، فَلَا تَغَيَّبُ شَيْئًا فِي بَطُونِهَا إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرًا، وَلَوْ رَعَاها فِي مَرْجٍ، مَا أَكَلَتْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا أَجْرًا، وَلَوْ سَقَاهَا مِنْ نَهْرٍ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ قَطْرَةٍ تُغَيِّبُهَا فِي بَطُونِهَا أَجْرٌ - حَتَّى ذَكَرَ الْأَجْرَ فِي أَبْوَالِهَا وَأَزْوَائِهَا - وَلَوْ اسْتَنْتَتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ تَخْطُوهَا أَجْرٌ، وَأَمَّا الَّذِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ: فَالرَّجُلُ يَتَّخِذُهَا تَكْرُمًا وَتَجَمُّلاً، وَلَا يَنْسَى حَقَّ ظُهُورِهَا، وَبَطُونِهَا فِي عُسْرِهَا وَيُسْرِهَا، وَأَمَّا الَّذِي عَلَيْهِ وَزْرٌ فَالَّذِي يَتَّخِذُهَا أَشْرًا وَبَطْرًا، وَيَذْخًا وَرِيَاءَ النَّاسِ، فَذَلِكَ الَّذِي هِيَ عَلَيْهِ وَزْرٌ). وفي رواية لمسلم (1873): (الْخَيْرُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِي الْخَيْلِ) ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: (الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.
- <https://islamqa.info/ar/answers/232288> /شرح-حديث-الخيال-معقود-في-نواصيها-الخير-الى-يوم-القيامة
- * الخيلاء: العجب والكبر.
- 25 الجاحظ، القول في البغال، ص 13.
- 26 المصدر نفسه، ص 16.
- 27 الجاحظ، القول في البغال، ص 45.
- * ممن قتلته البغال: زيد بن جُلُق الرائض، ومحمد بن سعيد بن حازم المازني، وعمرو ابن هذاب، وغيرهم. المصدر نفسه، ص 51.
- 28 المصدر نفسه، ص 44-45-92.
- 29 المصدر نفسه، ص 45.
- 30 المصدر نفسه، ص 49.
- 31 الجاحظ، القول في البغال، ص 26.

- 32 المصدر نفسه، ص 27.
- 33 فخر الدين الرازي، المعالم في علم أصول الفقه ، تح: عادل أحمد عبد الموجود- وعلي محمد معوض مؤسسة المختار للنشر، ط2 ، سنة 2004 القاهرة، ص34. إرشاد الفحول، محمد بن علي الشوكاني، تح: محمد سعيد البدري، مؤسسة الكتب الثقافية، ط8، 2007، بيروت، ص57.
- 34 الجاحظ، القول في البغال، ص28.
- 35 راث كيميسون، نظرية علم الدلالة (السيمانطيقا)، تر: عبد القادر قنيني، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم، ط1، 1430هـ-2009م، الجزائر-لبنان، ص14.
- 36 ينظر: الجاحظ، القول في البغال، ص58-59.
- 37 ينظر: العمري، محمد، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق- الدار البيضاء المغرب، ص92.
- 38 السيد عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، الدار الجماهيرية للنشر، ليبيا، ط1، 1988، ص99.
- 39 المصدر نفسه، ص6.
- 40 المصدر نفسه، ص62. https://ar.wikipedia.org/wiki/السخرية_في_أدب_الجاحظ#فن_السخرية_قبل_الجاحظ
- 41 الجاحظ، القول في البغال، ص31.
- 42 الجاحظ، القول في البغال، ص33.
- 43 ابن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1994، القاهرة، 18/2.
- 44 المصدر نفسه، 19/2.
- 45 الجاحظ، القول في البغال، ص79.
- 46 جون ليونز، نظرية المعنى عند فيرث، تر: عبد الكريم مجاهد، مجلة الفكر العربي، العدد 78 خريف 1994، بيروت، ص25-32.
- 47 ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، 1952-1956، القاهرة، 1/248.
- 48 ابن هشام، شرح شذور الذهب، تح: محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، ط8، عام 1380هـ-1956، القاهرة، ص28-29.